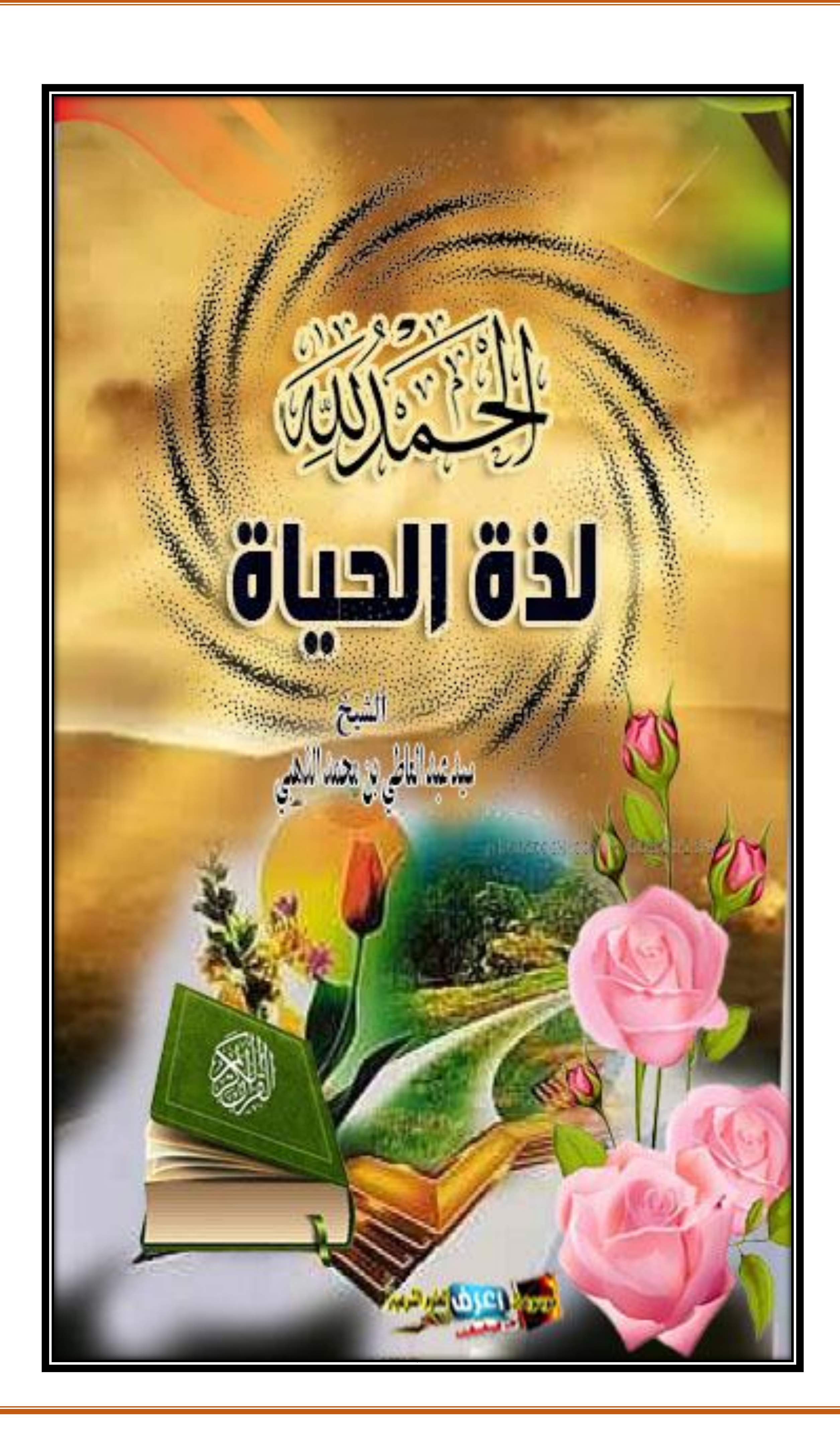

الحمد لله
لذة الحياة
الشيخ
سيد عبد العاطي بن محمد


الحمد لله
لذة الحياة
الشيخ





الشيخ
سيد عبد العاطي بن محمد النجعي



• ﴿الحمد لله لذة الحياة﴾

الحمد لله جل وعلا،ذي الأسماء الحسنى والصفات العلا،وأصلي وأسلم على نبي الهدى،وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى.

أما بعد:

•فبين يديك يا طالب العلم-رحمني الله وإياك-رسالة مختصرة في بيان منزلة الحمد وفضله عنونت لها بهذا العنوان
﴿الحمد لله لذة الحياة﴾،ومن المعلوم أن الموضوعات المهمة لابد لها من تمهيد يسبقها فأقول ممهدا:

•إن ذكر اللهِ تعالى لذة الحياة،ورِبيع القلب،وزِينة اللسان،وهو جنة الدنيا التي مَن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة،فذكر الله عز وجل قوت للقلوب، وقرة للعيون، وسرور للنفوس، به تجلب النعم وتدفع النقم؛ فهو نعمة عظمى ومنحة كبرى، له لذة لا يدركها إلا من ذاقها،فهو أعظم ما فتق عنه لسان وتدبره جنان،لذا وصف اللهُ تعالى أصحاب القلوب النقيةِ بأنهم:﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾.(آل عمران:١٩١).فحياة الروح والقلب في ذكر الله تعالى هذه الحياة هي التي دعا اللهُ تعالى إليها أهل الإيمان:﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾.(الأنفال:٢٤).،وأخرج الشيخان البخاري برقم (٦٤٠٧) ومسلم برقم (٧٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري -رضي اللهُ تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى اللهُ عليه وسلم-:﴿مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت﴾.،فذكر الله سبحانه وتعالى مما يؤنس الروح والقلب، ويرزق النفس الطمأنينة، ويثقل موازين العبد بالحسنات، وينجي الله تعالى به صاحبه من الهم والغم والحزن، فيكشف ضره ويذهب غمه،قال اللهُ تعالى:﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.(الرعد:٢٨).،وأخرج الإمام الترمذي -رحمه اللهُ تعالى- في سننه برقم (٢٩١٠) من حديث عبد

اللهِ بنِ مسعودٍ -رضي اللهُ تعالى عنه- قال: قال رسولُ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلم-: ﴿مَن قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ﴿ألم﴾ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف﴾. وأخرج الإمامُ الترمذيّ -رحمه اللهُ تعالى- في سننه برقم (٣٣٧٧) من حديث أبي الدرداء -رضي اللهُ تعالى عنه- قال: قال رسولُ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلم-: ﴿ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والورق، وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله تعالى قال معاذ بن جبل: ما شيءٌ أنجى من عذاب الله من ذكر الله﴾. وأخرج الإمامُ أحمد -رحمه اللهُ تعالى- في المسند برقم (٣٧١٢) من حديث من حديث عبد اللهِ بن مسعودٍ -رضي اللهُ تعالى عنه- قال: قال رسولُ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلم-: ﴿ما أصاب أحدا قط همٌ ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها﴾. لذا فقد حثنا اللهُ تعالى على الإكثار من ذكره فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا اللهَ ذكرا كثيرا

(٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾.(الأحزاب:٤١-٤٣). ،وذلك لأن إدامة الذكر تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية أو مالية،وقد جاء ذلك صريحا فيما أخرجه الشيخان البخاري برقم (٨٤٣)ومسلم برقم (٥٩٥)من حديث أبي هريرة-

رضي الله تعالى عنه-قال :جاء الفقراء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ،فقالوا :ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا، والنعيم المقيم يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون، قال :﴿ألا أحدثكم إن أخذتم أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين، فاختلفنا بيننا، فقال بعضنا : نسبح ثلاثا وثلاثين، ونحمد ثلاثا وثلاثين، ونكبر أربعا وثلاثين، فرجعت إليه، فقال : تقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين﴾. ،والحمد لله تعالى من أعظم الذكر ففيها تحقيق توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية،وتوحيد الأسماء والصفات،وفيها كمال الرضا والتسلم لقضاء الله وقدره،لذا فإن الحمد لله لذة الحياة،وبعد هذا التمهيد سأصحبك يا صاح لبيان منزلة الحمد وفضله فأقول وبالله التوفيق :



•أوِلاً: تعْرِيفُ الحِمْد:

-قال شيخ الإسلامِ ابْن تيمِيّة -رِحمه اللهُ تعالى- في مِجْمُوع الفتاوى: ٣٧٨/٨: عنْ تعْرِيف الحمْد: ﴿الحمد الإخبارُ بمِحاسن المِحمُود مع المِحبِّة لها، فلو أخبر مُخبِرٌ بمِحاسن غيِره من غير مِحبّةٍ لها، لم يكْن حِامدِاً، ولو أحبِّها ولم يُخْبِرْ بها، لم يكْن حامدِاً﴾.

-وقال العلامة ابْن القيِّم -رِحمه الله تعالى- في الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب ص: ٨٨ في تعْريف الحمْد: ﴿فالحمد لله: الإخبارُ عنه بصفات كمالِه سُبْحانه وتعالى، مع محِبّته والرِّضا به، فلا يكُون المحبُ السِاكت حِامدِاً، ولا المثني بلا مِحبِّةٍ حامدِاً؛ حتى تجتمِع له المحبِّة والثناءُ﴾.

•فالحمد وصف المِحمُود بصفات الجِلال والجِمال والكمال مع المِحبِّة والتعْظيم،وإذا كرِر الحمد يُسمى ثناءً،وإذا كرِر الثناءُ يسمِى تمْجيداً.

-أخرج الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في صحيحه برقم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: ﴿قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾، قال: مجدني عبدي، وقال مرة فوض إلي عبدي، فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل﴾.



- **ثانيا: الحمد على مائدة القرآن الكريم:**

-من المعلوم أن (الحمد) هو أعظم الذكر منزلة وذلك لأن الله تعالى ارتضى هذا الذكر لنفسه، وافتتح به كتابه العزيز القرآن الكريم، وهو الذكر الذي لهج به صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين، وهو السبيل

لرضا اللهِ عنِ العبدِ،وقد وردت صيغةُ الحمدِ في آياتٍ كثيرةٍ على مائدة القرآنِ الكريم أذكرِ منها:

(١)قال اللهِ تعالى:﴿الحمدِ للهِ ربِّ العالمين﴾.(الفاتحة:٢).

-أي:أن اللهِ تعالى هوِ المستحقِ لجميعَ المحامد فيحمد على محاسنهِ ويحمد على إحسانه،وقد جاءت الآية بعد قولهِ تعالى:﴿بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم﴾.(الفاتحة:١).فالبسملة قد جعلتنا نعترف بأن اللهِ الذي له صفة الألوهيةِ متصف بجميعَ صفات الجمالِ والجلالِ والكمالِ.

فإذا أردنا أن نطلب من الله سبحانه أن يفيض علينا من خلال هذه الصفات:الرزق،والمغفرة،والشفاءِ،والخلق،والقوةِ،والصحة،وكافة الحاجات الدينيةِ والدنيويةِ،فمفتاح ذلك كلهِ هوِ الرحمة الإلهيةِ،فلا بد من الدخول من بابها فإنه تعالى ذو الرحمةِ الواسعةِ،وذو الرحمةِ الواصلةِ،وكثيرةٍ هي رحماته بمقتضى ﴿الرحمنِ الرحيم﴾.

-ثمِ لأجل استمرارِ الاستفادة من فيوضات الرحمةِ التي هي من مقتضياتِ صفات الألوهيةِ لا بد من ثباتِ هذه الرحمةِ ودوامها،كما ألمحت إليهِ كلمة:﴿الرحيم﴾.

- وبعد تقديم ذلك الاعتراف بأنه سبحانه قد أفاض علينا من كلِّ ما تقتضيه تلك الصفات بجميع فروعها من جلاليةٍ وجماليةٍ وكماليةٍ، أو فقل: من صفات فعلٍ أو صفات ذاتٍ، يأتي الحمد والثناء بمثابة اعتراف بهذه الفيوضات، لأنها هي التي دفعتنا لهذا الثناء.

- واستفتاح الله تعالى لكتابه بصيغة (الحمد) لحكمة جليلة فإنه أراد لنا أن ندخل من باب الحمد، إلى كل الحقيقة المنبسطة على هذا الوجود، مدركين حجم الارتباط بالله، ونوع، وكيفية التعاطي معه سبحانه وتعالى.

- من أجل ذلك جعل الحمد هو البداية وهو النهاية، فأول كلمة نطق بها آدم عليه السلام هي (الحمد لله) واستفتح الله كتابه بـ(الحمد لله)، وتستمر المسيرة مع لفظة (الحمد) إلى الحياة الآخرة لتكون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (يونس: ٩-١٠).

(٢) وقال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾. (الأنعام:١).

- قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيرها: ﴿هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال عمومًا، وعلى هذه المذكورات خصوصًا. فحمد نفسه على خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، وذلك شامل للحسي من ذلك، كالليل والنهار، والشمس والقمر. والمعنوي، كظلمات الجهل، والشك، والشرك، والمعصية، والغفلة، ونور العلم والإيمان، واليقين، والطاعة، وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى، هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ أي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه﴾.

(٣) وقال الله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. (الأنعام:٤٥).

-قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيرها: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي اصطلموا بالعذاب، وتقطعت بهم الأسباب. ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على ما قضاه وقدره، من هلاك المكذبين. فإن بذلك، تتبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاءت به المرسلون﴾.

(٤) وقال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ تجري من تحتهم ٱلأنهٰر وقالوا ٱلحمد لله ٱلذي هدىٰنا لهٰذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدىٰنا ٱلله لقد جاءت رسل ربنا بٱلحق ونودوا أن تلكم ٱلجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾. (الأعراف: ٤٣).

-أي: وأذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، ومن كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحتهم. وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم، وما كنا لنوفق إلى سلوك الطريق المستقيم لولا أن هدانا الله سبحانه لسلوك هذا الطريق، ووفقنا للثبات عليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق من الإخبار بوعد أهل طاعته ووعيد أهل معصيته، ونودوا تهنئة لهم وإكراما: أن تلكم الجنة أورثكم الله إياها برحمته، وبما قدمتموه من الإيمان والعمل الصالح

.

(٥) وقال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. (يونس: ١٠).

- قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيرها: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ أي: عبادتهم فيها لله، أولها تسبيح لله وتنزيه له عن النقائص، وآخرها تحميد لله، فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل اللذات، الذي هو ألذ عليهم من المآكل اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة النفس، من دون كلفة ومشقة. ﴿و﴾ أما ﴿تحيتهم﴾ فيما بينهم عند التلاقي والتزاور، فهو السلام، أي: كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه ﴿سلام﴾ وقد قيل في تفسير قوله ﴿دعواهم فيها سبحانك﴾ إلى آخر الآية، أن أهل الجنة - إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب ونحوهما - قالوا سبحانك اللهم، فأحضر لهم في الحال، فإذا فرغوا قالوا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

(٦) وقال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾. (الإسراء: ١١١).

- قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيرها: ﴿وقل الحمد لله﴾ له الكمال والثناء والحمد والمجد من جميع الوجوه، المنزه عن كل آفة ونقص، ﴿الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك﴾ بل الملك كله لله الواحد القهار، فالعالم العلوي والسفلي، كلهم مملوكون لله، ليس لأحد من الملك شيء، ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ أي: لا يتولى أحدا من خلقه ليتعزز به ويعاونه، فإنه الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات، في الأرض ولا في السماوات، ولكنه يتخذ أولياء إحسانا منه إليهم ورحمة بهم ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾.. ﴿ وكبره تكبيرا ﴾ أي: عظمه وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه، بأسمائه الحسنى، وبتحميده بأفعاله المقدسة، وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له﴾.

(٧) وقال الله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا﴾. (الكهف: ١).

- من المعلوم أن التسبيح أينما جاء فإنما جاء مقدما على التحميد، ألا ترى أنه يقال: ﴿سبحان الله والحمد لله﴾ إذا عرفت هذا فنقول: إنه جل جلاله ذكر التسبيح عندما أخبر أنه أسرى بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا﴾. (الإسراء: ١)

وذكر التحميد عندما ذكر أنه أنزل الكتاب على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- فقال: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ • وفيه فوائد:

-الفائدة الأولى:

-أن التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي وهو إشارة إلى كونه كاملا في ذاته، والتحميد عبارة عن كونه مكملا لغيره، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملا في ذاته، ونهاية الأمر كونه مكملا لغيره، فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا (سبحان الله)، ثم ذكر بعده (الحمد لله) تنبيها على أن مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية، إذا عرفت هذا فنقول: ذكر عند الإسراء لفظ التسبيح وعند إنزال الكتاب لفظ التحميد، وهذا تنبيه على أن الإسراء به أول درجات كماله وإنزال الكتاب غاية درجات كماله، والأمر في الحقيقة كذلك لأن الإسراء به إلى المعراج يقتضي حصول الكمال له، وإنزال الكتاب عليه يقتضي كونه مكملا للأرواح البشرية وناقلا لها من حضيض البهيمية إلى أعلى درجات الملكية، ولا شك أن هذا الثاني أكمل، وهذا تنبيه على أن أعلى مقامات العباد مقاما أن يصير (العبد) عالما في ذاته معلما لغيره ولهذا روي في الخبر أنه -عليه الصلاة والسلام- قال: ﴿من تعلم وعلم فذاك يدعى عظيما في السماوات﴾.

الفائدة الثانية:

أن الإسراء عبارة عن رفع ذاته من تحت إلى فوق، وإنزال الكتاب عليه عبارة عن إنزال نور الوحي عليه من فوق إلى تحت، ولا شك أن هذا الثاني أكمل.

الفائدة الثالثة:

أن منافع الإسراء به كانت مقصورة عليه ألا ترى أنه تعالى قال هنالك: ﴿لنريه من آياتنا﴾. (الإسراء:١). ومنافع إنزال الكتاب عليه متعدية، ألا ترى أنه قال: ﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين﴾. والفوائد المتعدية أفضل من القاصرة﴾.

(٨) وقال الله تعالى: ﴿وقالوا ٱلحمد لله ٱلذى صدقنا وعده وأورثنا ٱلأرض نتبوأ من ٱلجنة حيث نشاء فنعم أجر ٱلعملين﴾. (الزمر:٧٤).

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيرها: ﴿وقالوا﴾ عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومن عليهم وهداهم: ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ أي: وعدنا الجنة على

ألسنة رسله، إن آمنا وصلحنا، فوفى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما مناناً. ﴿ وأورثنا الأرض ﴾ أي: أرض الجنة ﴿ نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾ أي: ننزل منها أي مكان شئنا، ونتناول منها أي نعيم أردنا، ليس ممنوعا عنا شيء نريده. ﴿ فنعم أجر العاملين ﴾ الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا،وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه، ورضيها الجواد الكريم لهم نزلا، وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، ويزول الكدر، ويتم الصفاء ﴾.

(٩) وقال الله تعالى: ﴿ وترى ٱلملٰئكة حافين من حول ٱلعرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بٱلحق وقيل ٱلحمد لله رب ٱلعلمين ﴾. (الزمر: ٧٥).

-قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيرها: ﴿ وترى الملائكة ﴾ أيها الرائي ذلك اليوم العظيم ﴿ حافين من حول العرش ﴾ أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا، ﴿ وقضي بينهم ﴾ أي: بين الأولين والآخرين من الخلق

﴿بالحق﴾ الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق.﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾
لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة﴾.

(١٠) وقال الله تعالى:﴿قل ٱلحمد لله وسلٰم علىٰ عباده ٱلذين ٱصطفىٰ ءالله خير أما يشركون﴾.(النمل:٥٩).

-قال العلامة السعدي-رحمه الله تعالى-في تفسيرها:﴿أي: قل الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء لكمال أوصافه وجميل معروفه وهباته وعدله وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب الظالمين، وسلام أيضا على عباده الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين من الأنبياء والمرسلين وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكرهم وتنويها بقدرهم وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربهم من النقائص والعيوب، ﴿آلله خير أما يشركون﴾ وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: الله الرب العظيم كامل الأوصاف عظيم الألطاف خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل

وِجهِ، لا تنفعِ ولا تضرِ ولا تملك لأنفسهِا ولا لعِابديهِا مثقال ذرَّةٍ منِ الخيرِ فالله خيرٌ ممِا يشركون﴾.

• والآيات في ذكر الحمد على مائدة القرآن كثيرةٌ أكتفي بمِا ذكرت لأنتقل إلى ذكر الحمد في السنة المطهرة.



• ثالثا: الحمد على مائدة السنة المطهرة:

- وردت نصوص كثيرة في السنة المطهرة في ذكر الحمد أذكر منها:

[1] أخرج الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في صحيحه برقم (٤٧٨) من حديث عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا رفع رأسه من الركوع، قال: ﴿اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض، وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد﴾. وفي رواية عن

النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى قوله: ﴿وملء ما شئت من شيء بعد﴾ ولم يذكر ما بعده.

- في هذا الحديث يخبر عبد الله بن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: ﴿اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد﴾، أي: لك الحمد حمدا كثيرا لا إحصاء له ولا حصر. ﴿أهل الثناء والمجد﴾، أي: فأنت تستحق الثناء والذكر والتمجيد والتعظيم، ﴿لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت﴾، أي: إذا أردت الإعطاء والإنعام على أحد فلا يستطيع أحد منع فضلك عنه، وإذا أردت الإمساك ومنع العطاء عن أحد فلا يستطيع أحد أن يمنعك، وهذا كما قال الله: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾. (فاطر: ٢)، ﴿ولا ينفع ذا الجد منك الجد﴾، والجد هو الحظ من الدنيا، مثل الغنى وغيره. والمعنى: أنه لا ينفع الغنى والحظ صاحبه عندك، وإنما تنفعه الطاعات والعمل. وقيل: إن الحظ والغنى منك، فلا ينفع الحظ صاحبه ولا يغني عنه من عذاب الله شيئا، وهذا الدعاء ملؤه الحمد والشكر والتمجيد لله، مع التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى، والتخلص من الحول والقوة الإنسانية إلى حول الله وقوته.

(٢)وأخرج الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- أيضا في صحيحه برقم (٢٧٢٣) من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أمسى قال: ﴿أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له﴾. قال الحسن: فحدثني الزبيد أنه حفظ عن إبراهيم في هذا: ﴿له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم أسألك خير هذه الليلة، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، اللهم إني أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر﴾.

• رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الأسوة والقدوة في تحقيق العبودية وكثرة ذكر الله تعالى، لذا فقد كان يذكر الله تعالى في كل أحيانه -صلى الله عليه وسلم-.

-وفي هذا الحديث يروي عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان ﴿إذا أمسى﴾ أي: دخل في وقت المساء، وقيل: قبل غروب الشمس؛ لقوله تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾. (طه: ١٣٠). قال: ﴿أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله﴾ وهذا بيان حال القائل، أي: دخلنا في

وقت المساء وعرفنا أن الملك والحمد لله وحده لا لغيره، فالتجأنا إليه، واستعنا به، وخصصناه بالعبادة والثناء عليه، والشكر له، ثم قال كلمة التوحيد وهي: ﴿لا إله إلا الله وحده﴾ فلا معبود بحق إلا الله، ﴿لا شريك له﴾ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، ﴿له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير﴾ فكل ما في الكون، فهو مالكه والمتصرف فيه؛ لأنه كامل القدرة، تام الإرادة، ثم سأل -صلى الله عليه وسلم- خير الليلة التي فيها، يعني: خير ما ينشأ فيها، وخير ما يسكن فيها، وخير ما يقع فيها من العبادات التي أمرنا بها فيها، واستعاذ من شرها وشر ما بعدها من الليالي.

-ثم استعاذ من الكسل، وهو ترك الشيء الذي لا ينبغي تركه مع القدرة على فعله، واستعاذ من سوء الكبر، وهو كبر السن الذي يؤدي إلى ضعف البدن وذهاب القوة، وإنما استعاذ منه؛ لكونه من الأدواء التي لا دواء لها، والمراد بسوء الكبر ما يورثه كبر السن من ذهاب العقل، وغير ذلك مما يسوء به الحال.

-ثم ختم استعاذته -صلى الله عليه وسلم- بالتعوذ من النار والقبر، لعظم أمرهما؛ أما القبر فلأنه أول منزل من منازل الآخرة، ومن نجا منه فما بعده أيسر، وأما النار فإن عذابها شديد، ولا يساويه أي عذاب.

• فهذا الدعاء من الأدعية الجامعة النافعة التي ينتفع بها الإنسان في دنياه وآخرته فينبغي الحرص عليه كلما أمسى العبد.

(٣) وأخرج الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه برقم (٣٢٩٣) من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ﴿من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك﴾.

- لقد فتح الله سبحانه لعباده كثيرا من أبواب الخير؛ من الذكر والدعاء والتهليل والتسبيح، وأعطاهم على ذلك الفضل العظيم والثواب الكبير، فهو سبحانه الكريم الذي يعطي الكثير على العمل اليسير.

- وفي هذا الحديث يخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن فضل الذكر بكلمة التوحيد، وأن من قال: ﴿لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له

الملك﴾ فهو سبحانه المعبود الذي يستحق العبادة وحده،وهو سبحانه المختص بالسلطان التام الذي لا ينازعه فيه منازع، ﴿وله الحمد﴾ فهو المستحق له دون من سواه سبحانه،والحمد هو ذكر المحمود بصفات الكمال والجلال والجمال ،وإذا تكرر كان ثناء،وإذا تكرر كان تمجيدا،والله سبحانه يحمد على إحسانه ومحاسنه ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ فمن قال ذلك في يوم مئة مرة، كانت له مثل ثواب عتق عشرة من العبيد المملوكين، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكان هذا الذكر تحصينا له من الشيطان طوال يومه إلى المساء، ولا يكون أحد أفضل عملا من الذي قال هذا الذكر، إلا من قال هذا الذكر أزيد من مئة مرة، ويحتمل أن تراد الزيادة من غير هذا الجنس من الذكر وغيره،أي: إلا أن يزيد أحد عملا آخر من الأعمال الصالحة.

(٤) وأخرج الشيخان البخاري برقم (٦٤٠٦) ومسلم برقم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده﴾. وفي رواية: ﴿كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في

الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم﴾.

-في هذا الحديث يرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته إلى فضل ذكر من أعظم الأذكار التي قد يلفظ بها المؤمن، وهو ﴿سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده﴾، وتسبيح الله تعالى هو تنزيهه عن كل نقص وعيب، ثم يحمد الله على ما يسر من التسبيح والطاعات.
وهاتان الكلمتان خفيفتان على اللسان، أي: سهلتان عليه، ينطقهما بلا مشقة على كل حال، وسهل اعتيادهما وتكرارهما في كل وقت، ثقيلتان في الميزان، يعني في وزن الحسنات التي يحصلها العبد عند التلفظ بهما، وذلك يوم القيامة يوم توزن أعمال العباد، ويجازي عليها الله عز وجل، وهما أيضا كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، يعني: يحبهما الله سبحانه وتعالى، فهذا يدل على أن تسبيح الله وحمده من أفضل النوافل، وأعظمها أجرا عنده تعالى، وفي الحديث: بيان سعة رحمة الله بعباده؛ فهو يجزي على العمل القليل بالثواب الجزيل.

(٥) وأخرج الإمام الترمذي -رحمه الله تعالى- في سننه بسند حسن برقم (١٠٢١) من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿إذا مات ولد العبد قال

اللهِ لِملائكته: قَبضتم ولد عِبْدي؟فيقولون: نعم فيقول قَبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم فيقولُ: ماذا قال عبْدي؟فيقولون: حمدك واسترجع فيقولُ اللهُ: ابْنوا لعبدي بيتا في الجنةِ وسمُوه بيت الحمْد﴾.

-فالصبر ضياءٌ؛ يضيءُ للإنسان الظلمات، ويهوِّن عليه الشدائد والكربات، ويهديه إلى طريق الحق، وللصبر فضلٌ كبيرٌ، وهو من أهمِّ الأخلاق التي ينبغي للمسلم أن يتصف بها، وهو على ثلاثة أنواعٍ: صبرٍ على طاعةِ الله، وصبرٍ عن معاصي الله، وصبرٍ على الأقدارِ والأقضيةِ.

-وفي هذا الحديث بيانٌ لأجرِ بعضِ من يصابُ ببعضِ المصائب فيصبر ويحمد الله تعالى، حيث يقول رسول الله -صلى اللهُ عليه وسلم: "﴿إذا مات﴾، أي: إذا انقضى أجلُ وحياة ﴿ولد العبد﴾ المؤمن، ﴿قال اللهُ﴾، وهو أعلم -إنما السؤال سؤال استنطاق للملائكةِ ليُقرُّوا بصلاحَ بني آدم-، ﴿لملائكته﴾ الموكلين بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه، ﴿قبضتم ولد عبْدي؟﴾ على تقدير الاستفهامِ، أي: هل قبضتم روح ولد عبدي المؤمن؟ ﴿فيقولون﴾، أي: الملائكة الموكلون بقبض الأرواح: ﴿نعم﴾ قبضنا روح ولد عبدك المؤمن يا ربنا، ﴿فيقولُ﴾ اللهُ تعالى للملائكةِ مرةٍ ثانيةٍ، إظهارا لكمال رحمة الوالد بولده، ﴿قبضتم ثمرة فؤاده﴾، وسمِّي الولد ثمرة الفؤاد كثمرةِ

الشَجرةِ؛ لأنْه نتيجةٌ للأب وثمرته، ﴿فيقولون﴾، أي: الملائكة الموكِلون بقبض الأرْواحَ: ﴿نعم قبضنا ثمرة فؤاد عبدك، ﴿فيقولُ﴾ اللهُ تعالى وهْوأعلم: ﴿ماذا قال عبدي؟﴾، أي: ما كان ردُ فعلهِ وقوله نتيجةِ هذه المصيبةِ، وهي موت ولِده وثمرة فؤاده؟ ﴿فيقولون﴾، أي: الملائكة الموكَلون بقبض الأرْواحَ: ﴿حمدك عبدك، أي قال الحمد لله، ﴿واسترجع﴾، أي: قال: إنا لله وإنا إليهِ راجعون؛ فصبر على هذه المصيبة وهذا البلاء مؤمنا بالقدر، ﴿فيقول الله﴾ لملائكته: ﴿ابنوا لعبدي﴾ المؤمن الذي حمدني عند المصيبةْ واسترجع، ﴿بيتا في الجنةِ﴾ يدخله في الآخرة، ﴿وسموه﴾، أي: هذا البيت، ﴿بيت الحمد﴾؛ لأنه جزاء ذلك الحمد والصبر على المصيبة، وعدم تشكيه.

(٦) وأخرج الإمام ابن حبان -رحمه الله تعالى- في صحيحه برقم (٧١٨٧) من حديث أنس بن مالك -رضي الله تعالى عنه- قال: ﴿خطب أبو طلحة أم سليم فقالت له: ما مثلك يا أبا طلحة يرد ولكني امرأة مسلمة وأنت رجل كافر ولا يحل لي أن أتزوجك فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره فأسلم فكانت له فدخل بها فحملت فولدت غلاما صبيحا وكان أبو طلحة يحبه حبا شديدا فعاش حتى تحرك فمرض فحزن عليه أبو طلحة حزنا شديدا حتى تضعضع قال: وأبو

طلحة يغدو على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويروح فراح روحة ومات الصبي فعمدت إليه أم سليم فطيبته ونظفته وجعلته في مخدعنا فأتى أبو طلحة فقال: كيف أمسى بني؟ قالت: بخير ما كان منذ اشتكى أسكن منه الليلة قال: فحمد الله وسر بذلك فقربت له عشاءه فتعشى ثم مست شيئا من طيب فتعرضت له حتى واقع بها فلما تعشى وأصاب من أهله قالت: يا أبا طلحة رأيت لو أن جارا لك أعارك عارية فاستمتعت بها ثم أراد أخذها منك أكنت رادها عليه؟ فقال: إي والله إني كنت لرادها عليه قالت: طيبة بها نفسك؟ قال: طيبة بها نفسي قالت: فإن الله قد أعارك بني ومتعك به ما شاء ثم قبض إليه فاصبر واحتسب قال: فاسترجع أبو طلحة وصبر ثم أصبح غاديا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحدثه حديث أم سليم كيف صنعت فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿ بارك الله لكما في ليلتكما ﴾ قال: وحملت تلك الواقعة فأثقلت فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة: ﴿ إذا ولدت أم سليم فجئني بولدها ﴾ فحمله أبو طلحة في خرقة فجاء به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فمضغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمرة فمجها في فيه فجعل الصبي يتلمظ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي طلحة: ﴿ حب الأنصار التمر ﴾ فحنكه وسمى عليه ودعا له وسماه عبد الله ﴾.

• والأحاديث النبوية في هذا الباب كثيرة أكتفي بما ذكرت.

• ولعظيم شأن الحمد كان الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم أئمة الحمد، وجاء التنويه بحمد الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ومن سار على دربهم من المؤمنين في عدة مواضع في الذكر الحكيم، منها:

- ما عرضه القرآن الكريم عن حمد الخليل إبراهيم - عليه السلام - لربه عز وجل، وذلك في معرض ثنائه - عليه السلام - على الله عز وجل على هبة الولد الصالح، فقال إبراهيم - عليه السلام -: ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء﴾. (إبراهيم:٣٩).

- وفي موضع آخر يحكي القرآن الكريم حمد داود وابنه - عليهما السلام - لربهما عز وجل، وذلك في سياق الثناء على الله عز وجل على النعمة والفضل، فقال تعالى - مخبرا عنهما: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾. (النمل:١٥).

- وفي موضع ثالث يشير القرآن الكريم إلى حمد المؤمنين لربهم عز وجل عند خروجهم من القبور، كما في قوله تعالى: ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾. (الإسراء: ٥٢).

- وفي موضع رابع يحكي القرآن الكريم حمد المؤمنين لربهم عز وجل على ما يسر لهم من الإيمان والأعمال الصالحة التي صيرتهم إلى دخول الجنان، كما في قوله تعالى -: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾. (الأعراف: ٤٣).

- فالزموا الحمد عباد الله فإنه لذة الحياة، وفيه خير الدنيا والآخرة، فقد أخرج الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في صحيحه برقم (٢٩٩٩) من حديث صهيب بن سنان الرومي -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له﴾.

• فاللهم اجعلنا لك ذاكرين، لك شكارين، عليك متوكلين، واغفر لحينا وميتنا، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اكفنا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمن سواك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

• كتبه:

خادمكم ومحبكم في الله أبو أحمد سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي غفر الله له وعفا عنه.





مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

